

التَّارِيخُ: 2019/12/20

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيْعَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا،
وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ.

«التَّقْوَى: خَيْرُ زَادِنَا»

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

قَدْ عَيَّنَ نَبِيْنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الصَّحَابِيَّ الشَّابَّ مُعَاذَ ابْنِ جَبَلٍ سَفِيرًا فِي الْيَمَنِ.
وَبَيْنَمَا كَانَ يُودِّعُهُ انْطَلَقَ مَعَهُ وَقَدَّمَ لَهُ بَعْضَ التَّوَصِيَّاتِ
وَالنَّصَائِحِ. وَكَانَ مُعَاذُ رَاكِبًا عَلَى الْمَرْكُوبِ وَكَانَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي بِجَانِبِهِ. وَفِي نِهَائِهِ
نَصِيحَتِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُعَاذُ،
إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا ، أَوْلَعَلَّكَ أَنْ
تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي» بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ
بَدَأَ مُعَاذُ أَنْ يَبْكِي حُزْنًا لِفِرَاقِ نَبِيْنَا الْحَبِيبِ. وَأَمَّا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَفَتَ وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ
الشَّرِيفَةِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ الْمُتَوَّرَةِ فَقَالَ: « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ
بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»¹

الأَعْمَالِ الَّتِي تُفْقِدُ رِضَا اللَّهِ. التَّقْوَى هِيَ السَّيْرُ عَلَى
حُطَى نَبِيْنَا الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَرْسَلَهُ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْنَا كَمِثَالٍ كَامِلٍ وَدَلِيلٍ فَرِيدٍ مِنْ
نَوْعِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

لَا يُمَكِّنُ الْحُصُولُ عَلَى الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَّا عَنْ
طَرِيقِ التَّقْوَى. فَلِذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي
الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي قَرَأْتُمُهَا فِي بَدَايَةِ حُطْبَتِي هَكَذَا: ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾²

إِنَّ الْحُصُولَ عَلَى التَّقْوَى فِي الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ
يَتَطَلَّبُ أَنْ يَشْعُرَ نَفْسُهُ بِحُضُورِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَنْ
يَكُونَ مُحْتَرِمًا لِلَّهِ وَأَنْ يَرْتَبِطَ بِهِ بِحُبِّ عَمِيقٍ وَأَنْ يَتَوَاصَلَ
مَعَهُ دَائِمًا. وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ، فَإِنَّ التَّقْوَى هِيَ أَنْ تَقْلَقَ
بِقِيَامِ الأَعْمَالِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ عُقُوبَةَ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى وَهِيَ الْخَوْفُ مِنَ الْحُضُورِ أَمَامَ اللَّهِ بِوُجُوهِ
مُسَوَّدَةٍ. وَأَنَّ التَّقْوَى هِيَ الْإِسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الآخِرَةِ مِنْ
الْيَوْمِ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...﴾³

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ مَرَّةٍ مُشِيرًا
إِلَى صَدْرِهِ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «التَّقْوَى هَا
هُنَا»⁴ أَجَلٌ، مَكَانُ التَّقْوَى هُوَ الْقَلْبُ وَلَكِنْ أَعْرَاضُهَا
فِي الْبَدَنِ وَالْقَوْلِ وَالسُّلُوكِ. وَيَتَجَلَّى التَّأثيرُ الْهَادِي

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

التَّقْوَى هِيَ الْعَيْشُ مَعَ الْعِلْمِ أَنْ لَدَيْنَا مُسْؤُولِيَّاتٍ
مَادِيَّةً وَمَعْنَوِيَّةً تَجَاهَ اللَّهِ كَعَبْدٍ خَاصِعٍ لَهُ. وَأَنَّ التَّقْوَى
هِيَ ابْتِغَاءُ وَجْهِ اللَّهِ مِنْ خِلَالِ طَاعَةٍ بِأَوَامِرِ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى. وَهِيَ أَنْ يَلْجَأَ فِي ظِلِّ رَحْمَتِهِ عَنْ طَرِيقِ تَجَنُّبِ

لِلتَّقْوَى فِي عِبَادَاتِنَا الْخَالِصَةِ وَأَعْمَالِنَا الصَّالِحَةِ
وَأَخْلَافِنَا الْحَمِيدَةِ. وَيَتِمُّ تَعَزِيزُ وَعَيْنَا التَّقْوَى عَنْ طَرِيقِ
تَجَنُّبِ مِنَ الشُّرُورِ وَالْمَحَارِمِ؛ وَيَتَكَمَّلُ بِصِدْقٍ
وَإِخْلَاصٍ.

النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ، وَاللَّهُ وَلِيُّ
الْمُتَّقِينَ، وَأَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَلَهُمْ نِعْمٌ فَرِيدَةٌ فِيهَا لَا مِثَالَ لَهَا.⁶

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ
الرَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁷ إِذَا هَيَّا بِنَا،
لِنُبَارِكُ حَيَاتِنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ بِزَادِ التَّقْوَى.
وَلِنُوَصِلَ إِلَى تَجَنُّبِ الْخَطَايَا وَإِلَى قِيَامِ بِالْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ وَلِنَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالتَّقْوَى دَائِمًا. وَدَعُونَا
لَا نُضِيعَ حَيَاتِنَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ مِنْ خِلَالِ تَلْبِيَةِ رَعَبَاتِ
نُفُوسِنَا الَّتِي لَا تَشْبَعُ وَعَنْ طَرِيقِ اتِّبَاعِ خُطُواتِ
الشَّيْطَانِ وَالْوُقُوعِ فِي مَكَائِدِهِ. وَلَا نَنْسَى أَبَدًا بِأَنَّنا
سَوْفَ نُحَاسَبُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ عَنْ
كُلِّ أَقْوَالِنَا وَأَعْمَالِنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. وَأَخْتَتُمْ خُطْبَتِي
مَعَ حَدِيثِ رَسُولِنَا الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ
اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيَّةَ الْحَسَنَةَ تَمْنَحُهَا، وَخَالِقِ
النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ»⁸

فَإِنَّ التَّقْوَى هِيَ دِرْعُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّتُهُ. وَهِيَ
الْإِرْتِعَاشُ الَّذِي يَقَعُ فِي قَلْبِهِ فَهِيَ الصَّوْتُ الَّذِي يَمُسُّ
ضَمِيرَهُ. وَهِيَ سَدُّ حَاجِزٌ بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ الدُّبُوبِ فَهِيَ
أَنْسِيَّةُ الَّتِي أَلْفَهَا مَعَ مَثُوبَةٍ وَأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ. لِذَا فَإِنَّ
الْمُؤْمِنَ الْمُتَّقِيَ يَحْمِي قَلْبَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالْفَسَادِ، وَيَقِي
لِسَانَهُ مِنَ الْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ وَالْبُهْتَانِ وَيَحْرُسُ عَلَى
عُيُونِهِ ضِدَّ النَّظَرِ إِلَى الْحَرَامِ فَهُوَ يَغْضُ بَصَرَهُ وَلَا يَمُدُّ
أَبَدًا يَدَهُ إِلَى الْحَرَامِ وَلَا يَرْكُضُ بِقَدَمَيْهِ فِي طَرِيقِ الشَّرِّ
وَبِغْضِ النَّظَرِ عَنْ إِرْتِكَابِ الْجَرِيمَةِ عَمْدًا فَهُوَ لَا يَمِيلُ
إِلَى الْإِثْمِ حَتَّى إِلَى الْأُمُورِ الْمُشْتَبِهَاتِ. لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ
الْمُتَّقِيَ يَعْرِفُ بِأَنَّ الْإِمْتِثَالَ بِأَوْامِرِ اللَّهِ وَتَوَاهِيهِ سَوْفَ
يَجْلِبُ لَهُ سَعَادَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

التَّقْوَى هِيَ الْمِقْيَاسُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُعْطِينَا قِيَمَةً
لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. لِأَنَّهُ وَفَقًا لِدِينِنَا، فَإِنَّ
مِقْيَاسَ التَّفُوقِ لَيْسَ الْمَالُ وَالْمُلْكُ وَالْمَنْصِبُ
وَالسُّلْطَةُ وَالْمِهْنَةُ وَالْعِرْقُ وَالْجِنْسُ إِنَّمَا هُوَ التَّقْوَى
وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ. كَمَا تُشِيرُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ التَّالِيَةُ
إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَكُمُ﴾⁵ فَإِنَّ
الشَّخْصَ الَّذِي تَشَرَّفَ بِالْإِيمَانِ وَارْتَدَى لِباسَ التَّقْوَى
وَنَالَ إِلَى قَلْبِ طَاهِرٍ وَعَمِلَ أَعْمَالًا صَالِحَةً فَهُوَ أَفْضَلُ

1 أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، 236/5.

2 سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الْآيَةُ 102/3.

3 سُورَةُ الْحَشْرِ، الْآيَةُ 18/59.

4 أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، 134/3.

5 سُورَةُ الْحُجُرَاتِ، الْآيَةُ 13/49.

6 سُورَةُ النَّحْلِ، الْآيَةُ 128/16؛ سُورَةُ الْجَانِيَةِ، 19/45؛ سُورَةُ

الرَّعْدِ، 35/13.

7 سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الْآيَةُ 197/2.

8 رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، بَابُ الْبِرِّ، رَقْمُ الْحَدِيثِ، 55.